مشروع الكشف عن

أسوار صلاح الدين الشرقية

"تقرير عن الفترة من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠١"





د. خالد عزب

المشرف على مشروع إنقاذ السور

مدير إدارة الإعلام ومدير الخطوط

مكتبة الإسكندرية

Khaledazab66@hotmail.com

■ الاستشهاد المرجعي بالتقرير:

خالد عزب ، مشروع الكشف عن أسوار صلاح الدين الشرقية.- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع ؛ سبتمبر ٢٠١٠. ص ١٠٤ – ١١١.

(www.historicalkan.co.nr)

تعد الأسوار التاريخية للقاهرة سواء التي تعود للعصر الفاطمي أو الأيوبي من أطول أسوار المدن التاريخية في العالم ، بل وأفضلها من حيث التنوع المعماري ، حيث أزيلت العديد من أسوار المدن ، أما بسبب التوسع العمراني أو الحروب أو لانتشار سلاح المدفعية وقدرته على تدمير هذه الأسوار مما أدى إلى زوال سبب إنشائها[1] غير أن هذه الأسوار تعرضت ولسنوات طويلة إلى الإهمال منذ عصر دولة المماليك الجراكسة وبصورة خاصة الأسوار الشرقية ، وكذلك امتداد هذه الأسوار إلى ميدان باب الحديد (رمسيس حاليا) ، وفي عرضنا هذا سنتعرض إلى تجربة خاصة جداً تجمع بين عملية الحفاظ على الحالة حتى لا تؤدى إلى مزيد من التدهور ، ثم إنقاذ ما تبقى من السور الشرقي مع الكشف عن تفاصيله كاملة لأول مرة ، ثم محاولة إزالة التعديات من عليه ، وأخيراً مشروع ترميم السور ، هذه العناصر مجتمعة تشكل ما يسمى مشروع إنقاذ أسوار صلاح الدين الشرقية التي شرفت بالإشراف عليها خلال الفترة من ١٩٩٧ إلى ٢٠٠١ ، وشاركني في هذا زملاء أعزاء من المجلس الأعلى للآثار ، وساعد على إنجاح المشروع في مراحل لاحقة مشاركة مؤسسة أغاخان (برنامج المدن التاريخية) ومحافظة القاهرة ، وهو ما أدى إلى اعتبار السور الشرقي ظهير أثرى لحديقة الأزهر ، فرض على الحديقة العديد من المتطلبات وأعطى لها العديد من المزايا.

أسوار القاهرة الأيوبية

للعاصمة المصرية أسوار تاريخية مازالت باقية ، تحكي جانباً هاماً من التاريخ المصري ، فبتأسيس القاهرة كحصن للحكام الفاطميين شيد حوله سور لحمايتها وعزلها عن المصريين وذلك سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م ، ثم تهدم هذا السور بتقادم الزمن وأعيد إنشاؤه مرة أخري علي يد بدر الجمالي ٤٨٠ /٤٨٥هـ - ١٠٨٧م/١٠٩٢م ، ووسعت علي أثر ذلك حدود حصن القاهرة ، وفي نهاية العصر الفاطمي ومع تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة الفاطمية رمم السور الفاطمي.

لكن مع قيام الدولة الأيوبية واتجاهها لتحرير الأرض المحتلة في بلاد الشام ، وضع صلاح الدين الأيوبي مخطط إستراتيجي قام علي تحصين العاصمة المصرية من خلال إقامة سور يضم حواضرها (الفسطاط والقاهرة وما بينهما من عمران) مع إقامة قلعة تتوسط هذا السور العظيم ، وهو ما ورد في نص ذكره لنا العماد الأصفهاني كما يلي: "لما ملك السلطان صلاح الدين مصر وآتاه الله علي الأعداء بها النصر رأي أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعها ، ولا قوة لأهلها لتحميها وتردها وقال: لو أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلي جند مفرد ونظر مجدد ، والرأي أن أدير عليهما سوراً واحداً من الشاطئ إلي الشاطئ ، ثم يتكل في حفظاهما علي الله الكالئ فأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة علي جبل المقطم ، فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقسم وانتهي به إلي أعلي مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم ، ووجدت في عهد السلطان ثبتاً رفعه النواب ، وتكمل فيه الحساب ، وهو دائر البلدين مصر والقاهرة ، بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألف وثلاثمائة ذراع وذراعان ، شرح ذلك قياس مابين قلعة المقسم علي شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع ، ومن القلعة بالمقسم إلي حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعاً ، ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة

إلي البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف وعشرة أذرع ، وذلك بطول قوسه وأبدانه ، وأبراجه من النيل إلي النيل علي التحقيق والتعديل ، وذلك بالذراع الهاشمي ، بتولي الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي"[٢].

مما يلفت الانتباه في مشروع تحصين العاصمة المصرية هو أنه لم يشمل فقط تحصين القاهرة والفسطاط ، بل شمل كذلك ضم أراضي طرح النهر غرب القاهرة ، فظهور أراضي جديدة ، في غربي المدينة أثر علي الوظيفة الدفاعية التي كانت تقوم بها ، إذ كان الفاطميين يعتمدوا في طريقتهم الدفاعية عن المدينة الكبرى علي أساس جعل القاهرة - وهي الجزء المحصن من المدينة الكبرى في ذلك الوقت - هي التي تقوم بتحمل عبء الدفاع عن القاهرة والفسطاط معا[٣].

وهو ما أشار إليه المقدسي ، حيث ذكر بأن الوصول إلي القاهرة لم يكن يتم إلا بعد المرور علي القاهرة ، نظرا لكون القاهرة ممتدة فيما بين الماء والجبل[٤] ، فهي تحجز الفسطاط من الشمال. وهي الجهة التي يسهل منها الدخول إلي هذه المنطقة ، لأن أراضيها كانت أرض سهلية ، في حين كانت تلال المقطم تحد المدينة من جهة الشرق ومعظم الأجزاء الجنوبية ، فهي تكون خطاً دفاعياً ممتازاً ، علاوة علي وجود الخليج غرب المدينة ، يليه أراضي فيضية رخوة لا تسمح طبيعتها بالتمركز فيها وعرضها ليس كبيراً ، مما يوفر مناعة طبيعية من هذه الجهات ، وعند ذلك لا تحتاج الفسطاط إلا إلي توفير الحماية بإزاء الطرف الشمالي منها.

إلا أنه بمرور الزمن ، فإن طرح النهر أدي إلي تباعد الشاطئ عن القاهرة ، الأمر الذي سيجعلها منطقة استقرار صالحة لأي قوة عسكرية ، تستهدف الدخول إلي مصر ، وهو ما جربه صلاح الدين بنفسه ، حيث أن القوات الزنكية لما دخلت مصر في سنة (٥٦٤هـ - ١١٦٨م) استقرت في هذه المنطقة إذ كان نزولهم في أرض اللوق[٥]. لذلك فقد اقتضت الضرورة إلي إجراء نوع من التكيف إزاء هذه التطورات ، فجرى مد السور حتى شاطئ المدينة ضمن المشروع التحصيني الذي نفذه صلاح الدين ، وبشكل عام ، فبالإمكان القول بأن انحراف نهر النيل باتجاه الغرب ، ضمانا لمصالحها مع النهر ، سواء الأمنية ، أو الاقتصادية ، التي لا بد وأن النهر كان له دور أساسي في إيجادها.

أما عن نقطة البداية في هذا المشروع ، فهي علي الأرجح من امتداد السور الشرقي ، عند لقائه بالسور الشمالي للقاهرة الفاطمية ، يدلل علي ذلك ما عثر عليه من أحجار ذات كتابات هيروغليفية في الجزء المكتشف من السور أمام مستشفي الحسين الجامعي حالياً ، ويبدو أن قراقوش رأي في مرحلة مبكرة من المشروع أن جلب الأحجار من أهرامات الجيزة التي تعود لعصر الدولة القديمة أمر باهظ التكلفة ، فرجع عنه. كما يعد السور الشمالي المرحلة الثانية في المشروع ، أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة التي تبدأ من القلعة لتضم الفسطاط التي بدء فيها سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م[٦] أي بعد تسع سنوات من تاريخ البدء في بناء مشروع السور بصفة عامة ، ولعل ذلك يرجع إلي العناية بالسور الشرقي والشمالي إذ كانت غالباً الهجمات تنصب عليهما.

خطط السور لكي ينتهي عند طرفيه الشمالي والجنوبي ببرجين كبيرين[٧] بمثابة قلاع صغيرة تشكل نقطتي ارتكاز لنهاية وبداية السور ، فضلاً عن نقطة الارتكاز الرئيسية الوسطى المتمثلة في قلعة صلاح الدين ، يقوم هذين البرجين بعدد من الوظائف منها: أنهما مركزا قيادة وتحكم فرعيين - يقومان بالإشراف علي الحراسة والمناوبة علي طول السور- يتوليان الإشراف علي أعمال مراقبة أي هجوم وصده وإعاقته.

البرج الأول: برج المقسي ويقع في نهاية السور الشمالي ، وموقعه اليوم قرب جامع أولاد عنان[٨] عرف هذا البرج بقلعة المقسي أو قلعة قراقوش[٩]. ظل هذا البرج قائماً إلي أن هدمه الوزير شمس الدين أبو الفرج عبد الله المقسي وزير الملك الأشرف شعبان بن حسين بن قلاوون ، وذلك عند تجديده لجامع المقسي المذكور ، وجعل في موضع البرج بستان ، ويرجح أنه هدمه بين عامي ٧٧٠ - ٧٧٩هـ / ١٣٦٨-١٣٧٧م.

البرج الثاني: عرف هذا البرج بقلعة الكوم الأحمر[١٠] كما عرف بقلعة يازكوج[١١]. هذا البرج من المرجح أنه كان يقع علي شاطئ النيل عند التقاء السور الجنوبي بالغربي. أما عن سبب نسبته للأمير يازكوج فمن المرجح أن ذلك قد يعود لقيادته له.

أما العنصر الثاني في خطة بناء السور من حيث الأهمية الدفاعية ، فهو الأبراج المفصلية ، هذه الأبراج قد تقع عند نقاط التقاء مفصلية بالسور ، علي غرار برجي المقسي والكوم الأحمر ، ولكن الأبراج المفصلية ليست بمثابة قلاع صغيرة ، ولكنها أبراج ضخمة ، تبقى لنا نموذجين منها هما:

برج الظفر: يقع هذا البرج عند التقاء السور الشمالي الفاطمي بالسور الشرقي الأيوبي ، وهو برج ضخم يتكون من ثلاثة طوابق ، مازال باقياً إلي اليوم ، وردت تسمية برج الظفر علي خريطة الحملة الفرنسية للقاهرة ، يتكون البرج من ثلاثة طوابق ، الطابق الأرضي يفتح علي الشارع الداخلي بالمدينة بعقد وينزل منه إلي أرضية الطابق بدرج حيث يغطي المنطقة الوسطي للبرج قبة ضحلة يوجد في مناطق التقائها بجدار الطابق مقرنص من حطة واحدة ، ويفتح علي الطابق ثماني فتحات من المزاغل موزعة علي ثلاثة أرباع الدائرة ، ومن الملاحظ أن القبة يفتح بها فتحات شبابيك مستطيلة من الطابق العلوي ، وهو عبارة عن ممر مقبي حول القبة تفتح عليه (٦) فتحات مزاغل عميقة ، كل واحد منها عبارة عن قبو ينتهي بفتحة المزغل ، أما الطابق الثالث فهو مندثر الآن ، وكان عبارة عن طابق غير مسقوف به فتحات مزاغل. يكتنف البرج من جهتيه الغربية والجنوبية بابي سر يؤدي كل منهما إلي درج مسقوف بقبو هابط.

برج درب المحروق: هذا البرج يبلغ ارتفاعه ١٥ متر وقطره ١٦ متر وهو علي شكل ثلاثة أرباع الدائرة علي غرار برج الظفر ، هذا البرج الذي يقع علي امتداد السور الشرقي جاء موقعه ليلفت الانتباه ، ولكن أدت أعمال الكشف الأثري به عام ١٩٩٩ إلي الكشف عن سبب اختيار هذا الموقع ، البرج هنا وظيفته إقامة نقطة انتقال قوية بين مستويين من طبوغرافية الأرض ، إذ أن مستوى الأرض إلي الشمال منه ينخفض عن الجنوب ، ومن هنا أرتبط الطابقين الأول والثاني بامتداد السور إلي الشمال منه ، بينما ارتبطت باقي الطوابق بالسور الممتد إلي الجنوب منه ، فضلاً عن أن السور قبل هذا البرج من الناحية الجنوبية ينكسر بزاوية قائمة بطول يقرب من ١٣.٦٠م ليلتقي بالبرج. البرج يتكون من ثلاثة طوابق ، كشفت أعمال الحفر الأثري أنها مازالت بحالة جيدة ، البرج من المفترض أنه يفتح علي المدينة بعقد مدبب كبير يفضي إلي الطابق الأرضي بالبرج بدرج يؤدي إلي قاعة مستديرة مسقوفة بقبة ضحلة كبيرة في أركانها عند التقائها بالحائط مقرنصات منن حطة واحدة ، يفتح عليها قبوات تنتهي بفتحات مزغلية ، ويوجد بها سلم يؤدي إلي الطابق الثاني وممشى السور إلي الشمال من القاعة ، والطابق الثاني عبارة عن ممر مقبي بقبو برميلي ارتفاعه ٣.٤٠م به ٦ دخلات مقبية تنتهي بفتحات مزغلية ، أما الطابق الثالث فهو طابق

مكشوف به قاعة وسطي مثمنة يفتح عليها ٥ فتحات مزغلية. يكتنف برج درب المحروق عن جانبيه الغربي والشمالي بابي سر تم الكشف عنهما مؤخراً. وكان يعتقد أن الأجزاء التي تلي السور إلي الشمال قد فقدت إلي أن تم الكشف عن خمسة أبراج تالية نصف دائرية.

الأبراج نصف الدائرية:

تتخلل هذه الأبراج جسم السور الأثري ، والدراسة المتأنية للسور تكشف عن نوعين من هذه الأبراج في السور الشرقي عند الدرب الأحمر والباطنية :

- النوع الأول: عبارة عن قبو طولي مدبب يرتفع إلي السقف الذي يعلو عن ممشى السور ، يتفرع من هذا القبو ثلاثة أذرع ينتهي كل واحد منها بفتحة مزغل ، وهما عبارة عن مزغلين جانبيين وواحد أمامي ، وتغطي الأذرع الثلاثة أقبية طولية منخفضة عن قبو الدخول ، ويفتح بالضلع الأيسر للداخل من قبو البرج ممر ضيق يؤدي إلي حجرتي رماية ، هذا البرج كان يدخل إليه من الشارع الموازي للسور ، ومزاغله ذات مستوى منخفض. وهناك نوع من هذا البرج لم تلحق به غرف رماية.
- النوع الثاني: عبارة عن برج مصمت في طابقه الأرضي ، أما الطابق الثاني فينزل إليه بسلم من ممشى السور ، يؤدي إلي ممر يفضي إلي البرج الذي يتوسطه قبو طولي يقابله في الضلع الغربي فتحة نافذة لإضاءة وتهوية البرج ، أما القبو فيوجد به ثلاثة أذرع مسقفة بأقبية ، وينتهي كل ذراع بفتحة مزغل ، وعلي يسار القبو يوجد ممر يفضي إلي دورة مياه علي يمينه وينتهي بحجرة رماية.

يتبادل هذين النوعين من الأبراج علي طول السور ، وهذا يعني أن هناك نوعين من مستويات مزاغل رمي السهام أحدهما أرضي وآخر علوي.

حجرات الرماية:

يوجد بسور صلاح الدين ثلاثة أنواع من أبراج الرماية ، وهي حجرات تتخلل جسم السور بها فتحة مزغلية بهدف زيادة القوة الدفاعية له ، وهما:

- النوع الأول: حجرات رماية ذات عقد مدبب يفتح علي داخل المدينة ويبرز سمت الحجرة عن سمت السور الداخلي ، ويغطي الحجرة قبو مدبب يتعامد علي محور السور ، ويتصدر ضلعها الشرقي فتحة المزغل ، ويفتح بالضلع الأيسر للحجرة سلم صاعد إلي ممشى السور.
- النوع الثاني: ينزل إلي الحجرة بسلم من ممشى السور يؤدي إلي حجرة التي غالباً ما تكون مستطيلة يتصدر ضلعها الشرقي فتحة مزغل ، ويسقفها قبو مدبب.
- النوع الثالث: غالباً ما يشبه النوع الثاني غير أنه يتم الوصول إليه عن طريق ممر جانبي من أحد الأبراج ، وقد يلحق بأبراج السور إما حجرة رماية واحدة أو حجرتين واحدة علي كل جانب.

تعود أهمية حجرات الرماية إلي أنها تمثل نقاط دفاع تتخلل سمت السور الذي خلا من الممرات التي كانت تتخلل أسوار القاهرة الفاطمية ، ولذا حرص المعمار علي إلحاقها أيضاً بالأبراج ، وتعود هذه الحجرات وإنشائها لسببين:

- توفير النفقات في مشروع بناء السور الأستراتيجي ، حيث أن إنشاء ممرات في جسم السور بين الأبراج يعني ارتفاع تكلفة هذا المشروع الحربي العملاق الذي يغطي العاصمة المصرية.
- عامل الوقت إذ أن الحروب الصليبية مثلت ضغطاً علي صلاح الدين الأيوبي لإنجاز مشروع متكامل للدفاع عن مصر بإنشاء قلعة وسور للعاصمة وعدة قلاع في سيناء وبلاد الشام وتحصينات للسواحل المصرية ، من أبرزها سور الإسكندرية.

المزاغل:

تعد المزاغل العنصر الدفاعي الذي يسمح للمتمرسين بالسور الدفاع عن المدينة تجاه أي قوات غازيه ، لفظ المزاغل لم يرد له تعريف في اللغة العربية ، لكنها ترد بلفظ المراحي[١٢] ، في حين انه يعرف في اللغة اليمنية القديمة باسم صوبت[١٣] والتي ربما هي مشتقة من كلمة صوب السهم أو البندقية أي وجهه نحو الهدف وأستعد لإطلاقه ، في حين يعرف في العمارة الحربية في الأردن باسم الطلاقة وجمعها طلاقات[١٤]. والمزاغل من الناحية المعمارية عبارة عن فتحة لرمي السهام علي هيئة شق مستطيل رأس أو مربع ، ضيق من الخارج ومتسع من الداخل لتسهيل حركة المدافعين ، استخدمت منذ فترة مبكرة في العمارة الحربية الإسلامية وأقدم بقاياها توجد في قصر الحير الغربي ١١٠هـ / ٧٢٨م ، وقصر الأخيضر ١٦١هـ / ٧٧٨م ، ومزاغل الطوابق العليا في سور سوسة ٢٥٤ هـ / ٨٢٩ م ، كما استخدمت المزاغل في أسوار القاهرة الفاطمية ٤٨٠- ٤٨٥هـ / ١٠٨٧- ١٠٩٢م.

قسم الدكتور أسامة طلعت مزاغل السور الأيوبي إلي أربعة طرز[١٥]:

- الطراز الأول : مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه عقد أو عتب حجري مستقيم من كتلة واحدة يعلوه نفيس وعقد عاتق ، أنتشر هذا الطراز في أماكن متعددة بالسور.
- الطراز الثاني: مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه عتب مستقيم من كتلة واحدة وتكتنف فتحة المزغل جلستان لجلوس المدافعين ، ويشتمل السور علي نموذج واحد فقط من هذا النوع ، وهي مزاغل الطابق الأرضي بالبرج رقم ٣٧ غرب برج الظفر.
- الطراز الثالث: مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه قبو مسلوب عبارة عن نصف مخروط صغير وضع أفقياً وقاعدته للداخل ، ويوجد هذا النوع من المزاغل في برج درب المحروق.
- الطراز الرابع: مزغل مسقطه الأفقي نصف دائري ويغطيه طاقية من نصف قبة صغيرة ، ويوجد هذا النوع من المزاغل في برج الظفر.

الأبواب:

تخلل سور صلاح الدين الأيوبي عدة أبواب علي طول السور ، كان يعتقد أن جلها معروف مما أورده المؤرخين ، غير أن الإكتشافات الأثرية بالسور الشرقي لأبواب جديدة ، فضلاً عن وجود أبواب علي مسار السور لم يذكرها المؤرخين مثل باب الوداع بالحطابة ، تدعو إلي إعادة النظر في الجزم بمعرفتنا الكاملة بأبواب السور ، إندثرت بعض هذه الأبواب كباب الشعرية ، كما كان يوجد في الجزء الممتد من السور إلي الفسطاط عدة أبواب إندثرت الآن منها:

- باب مصر: هذا الباب بناه بهاء الدين قراقوش ، وكان يقع بالقرب من السيدة زينب حاليا ، بخط الحمراء القصوي ، وكان به برجان يمنه ويسره بعتبة سفلي صواناً وقوس معقود عليه ، ودفتين يغلقان عليه ، وكان يسلك منه إلي أربعة طرق. وهي الطريق إلي القاهرة ،

وعلي يمنته إلي الفواخير وعلي يسرته إلي البحر وإلي داخل المدينة [(١٦)] ، هدم هذا الباب في العصر المملوكي.

● باب الصفا: كان هذا الباب الرئيسي الذي يؤدي إلي مصر الفسطاط منه تخرج القوافل والعساكر ، وموضعه بالقرب من كوم الجارح ، وكان باباً كبيراً ببرجين متقابلين يعلوهما عقد كبير ، وهو بعتبة كبيرة سفل صوانا ، هدم باب الصفا في عهد الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ /٦٧٦ هـ - ١٢٦٠م/ ١٢٢٧م علي يد سيف الدين بن سدار والي الفسطاط ، وباب الصفا سمي بهذا الاسم لوقوعه علي رأس درب الصفا ، ودرب الصفا هو امتداد الشارع الأعظم ، وهو الطريق الذي يربط بين القاهرة والفسطاط ، والذي يبدأ من باب زويلة ويمتد حتي مشهد السيدة نفيسة [(١٧)]. بالإضافة إلي بابين آخرين هما باب الساحل وباب القنطرة.

هذا يقودنا إلي التعرف علي أنماط أبواب سور صلاح الدين الشرقي وهي كما يلي:

● النمط الأول: يشبه في تخطيطه باب زويلة من حيث التخطيط ، وهو عبارة عن باب ذا برجين نصفين دائريين بينهما باب معقود ، ويربط بين البرجين ممشى علوي به سقاطات ، والباب كان يتقدمه زلاقة من حجر الصوان مائلة بحيث تعوق بميلها صعود أي مهاجم ، وهذا التخطيط وجد في باب الصفا ، ومن المرجح أنه كان يماثله من حيث التخطيط الباب المحروق.

الباب المحروق

كان هذا الباب يعرف في العصر الفاطمي بباب القراطين لأنه كان يوجد بجواره سوق الغنم ، وكان يجلس عنده القراطون الذين يبيعون القرط (البرسيم)، وحدث في بداية العصر المملوكي صراع بين أمراء المماليك انتهي بسيطرة المعز أيبك التركماني ، ومقتل الفارس أقطاي ، وهو ما دفع مماليك الأخير للهرب من باب القراطين الذي وجدوه مغلقاً فقاموا بحرقه ، ومنذ ذلك الحين عرف بالباب المحروق ، وصار رمزاً لنهاية عصر النزاع الأيوبي وبداية استقرار دولة المماليك البحرية ، وقد سدت فتحة الباب المحروق سنة ١٨٠٠م عقب ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين ، وذلك ليتمكن الفرنسيين من السيطرة علي المدينة بصورة جيدة.

ظل موضع الباب المحروق مجهولاً حتي قام المهندس محمد فهمي من مصلحة التنظيم سنة ١٩٤٠م، باكتشاف الباب، وتم استكمال اكتشاف الباب من قبل فريق من المجلس الأعلى للآثار خلال الأعوام ١٩٩٧ م و١٩٩٨م [(١٨)] وفريق مصري فرنسي مشترك سنة ١٩٩٩م ، غير أن وجود خزان مياه حديث في مواجهة الباب أعاق عملية استكمال الكشف عنه. وقد كشف في البرج رقم (٦) عن بقايا لفرن لصناعة الخزف والفخار يعود للعصر العثماني ، تم الاحتفاظ بأجزاء منه في البرج للدلالة علي التحول الوظيفي الذي طرأ عليه.

يكشف تخطيط برجي الباب علي أنه كان للبرجين طابق علوي ، بكل واحد منهما ثلاث فتحات مزغلية وبينهما ممشى به سقاطات.

● النمط الثاني:

المدخل المنكسر: يعرف في العمارة الإسلامية بعدة أسماء منها الباشورة ، والمدخل المكسر ، والمدخل ذو المرفق ، والمدخل ذو العطف ، والمدخل المزور ، والمدخل المنحني [١٩] سمي بهذا الإسم لأن تصميمه يجعل الداخل إليه ينعطف يساراً أو يميناً مرة واحدة أو أكثر ليصل إلي داخل المدينة أو القلعة أو المنشآت الأخري. كان أول إستخدام لهذا النوع من الأبواب في العمارة الحربية الإسلامية في سور بغداد ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، وعلي غراره شيدت أبواب مدينة الرقة ١٥٥هـ / ٧٧٢م [(٢٠)] ثم انتشر استخدامها في أجزاء مختلفة من بقاع العالم الإسلامي ، فنراه في مدخل قلعة الحصن ببلاد الشام ، وفي قلعة الكرك ، ومدخل قلعة عجلون .. إلخ.

قسمت المداخل المنكسرة في عمارة أسوار القاهرة إلي طرازين [(٢١)] :

- الطراز الأول: وهو البرج ذو المدخل المنكسر ، ويتكون من برج مربع أو مستطيل يبرز عن سمت واجهة السور الخارجية ، ويفتح بداخل البرج ممر منكسر علي هيئة زاوية قائمة ، يتبع هذا الطراز ثلاثة أبواب بالسور ، فضلاً عن الباب المدرج في قلعة صلاح الدين.

- الباب الأول: وهو الباب الجديد وموقعه الآن شرق شارع المنصورية ، ويتكون من برجين الجنوبي منهما نصف دائري لتأمين المدخل ، ويتكون من طابقين: يشتمل الأرضي منهما علي مساحة وسطي مربعة مغطاة بقبو متقاطع ، ويتفرع منها ثلاثة أذرع ، بنهاية كل ذراع فتحة مزغل ، والطابق العلوي فقدت معالمه الآن ، أما البرج الشمالي فهو مربع شكلت كل من زاويتيه الخارجيتين علي هيئة بدنة صماء ثلاثة أرباع دائرية ، ويشتمل هذا البرج علي ممر المدخل وهو منكسر علي هيئة زاوية قائمة واحدة ينحرف الداخل منها يساراً ، ويفتح بكل من الضلع الشرقي والشمالي للمساحة الوسطي المربعة بممر المدخل دخلة تتصدرها فتحة مزغل تشرف علي خارج الباب ، وتغطي هذه المساحة الوسطي قبة ضحلة ، محمولة علي مثلثات كروية. وزود الباب بالعديد من الوسائل الدفاعية ، منها جسر خشبي متحرك ، وكان يستخدم لعبور الخندق الذي كان يتقدم الباب في حالة السلم ، وكان يرفع عند الخطر ، والسقاطات التي تفتح بين عقدي الواجهة الخارجية للباب.

هذا الباب يقودنا للحديث عن الباب المكتشف حديثاً إلي الشمال من برج درب المحروق ، وهو عبارة عن مدخل منكسر ، يتكون ضلعه الجنوبي من كتف بارز أو بدنة بها قبوين مدببين بصدر كل واحد منهما فتحة مزغل ، أما الضلع الجنوبي فيبرز منه برج نصف دائري له كتف بارز في جنوبه ، وبين البرج والكتف الجنوبي توجد دخلة المدخل المنكسرة التي تؤدي إلي باب معقود بعقد مدبب يفضي إلي مساحة وسطي مسقفة بقبة ضحلة علي مثلثات كروية ، ومن المرجح أن هذا الباب كان يعرف بباب البرقية.

أما ثالث الأبواب التي تتبع هذا التخطيط فهو باب القرافة ، ويقع الآن بميدان السيدة عائشة في الجزء الذي كان يمتد من سور الفسطاط إلي القلعة ، تبين من الأجزاء التي تم الكشف عنها ، أنه مدخل ذو ممر منكسر علي هيئة زاوية قائمة كان ينحرف الداخل فيها يساراً ، كان هذا الممر يفتح داخل برج تمتد واجهتيه الجانبيتين باستقامة ، أما واجهته الجنوبية الشرقية الخارجية فعلي هيئة قوس دائري ، لم يتبقى من هذا الباب سوي مثلثين كرويين يعلوهما مدماكان من مداميك القبة الضحلة التي كانت تغطي المساحة الوسطي المربعة من ممر المدخل ، فضلاً عن الطرف الشمالي الغربي من ممر المدخل ويفتح في سمت جدار السور ويغطيه قبو طولي نصف دائري وكان يؤدي إلي داخل المدينة [(٢٢)].

- الطراز الثاني: يتكون المدخل من برجين نصفي دائريين يبرزان عن واجهة السور الخارجية ، ويحصر البرجان فيما بينهما ممراً عمودياً علي محور السور ، ثم ينحرف الممر يميناً أو يساراً علي هيئة زاوية قائمة

داخل كتلة بنائية مستطيلة، وتقع هذه الكتلة داخل السور لصق الواجهة الداخلية للبرجين. ويتبع هذا الطراز بابين بقلعة صلاح الدين هما بابي المطار والإمام، ومن المرجح أنه كان يوجد لهذا الطراز أمثلة في سور صلاح الدين.

الجدار الساتر والممشى:

الجدار الساتر عبارة عن حائط يعلو الواجهات الخارجية للسور أمام الممشى الذي يعلو الثكنات أو الأبراج أو الأبواب أو بدن السور فيما بين الأبراج، والجدار الساتر في سور صلاح الدين عبارة عن مدماكين من الحجر يعلوهما شرافات نصف دائرية من ثلاثة مداميك، ويبلغ ارتفاع الجدار الساتر في السور ١.٨٥م، وهو ما يسمح للمدافعين عن المدينة باستخدامه في رمي السهام والرماح بسهولة. ويرتبط بالجدار الساتر الممشى، وهو إرتباط عضوي، إذ أن الأول هو الذي يحمي الممشى المكون من ممر إستطراق أو مساحة مكشوفة تربط بين أبراج السور، يتخللها سلالم تؤدي إلي حجرات الرماية.

بداية المشروع

بدات فكرة المشروع مع العام ١٩٩٧ حين توليت تفتيش منطقتي الدرب الأحمر والباطنية، وكان الأثر رقم ٣٥٢ المتمثل في امتداد سور صلاح الدين الشرقي من المنطقة الممتدة أمام قصر ألين أق الحسامى، وهو قصر أثرى يعود للعصر المملوكي البحري حتى برج المحروق وطولها ما يقرب من ٩٣٠ مترا، بها بقايا ظاهرة للعيان بارتفاع يبدأ من ٥ سم ويبلغ أقصاه ٢م عند برج رقم ٤، وكان باديا لنا في أول الأمر الاستغناء عن الأرقام القديمة المعطاة للأبراج على خرائط الآثار، واستخدام ترقيم بسيط يسهل على الحراس وعلينا إتباعه في موقع العمل، فاخذ البرج الظاهر لنا أجزاؤه العليا عند نقطة موازية للجامع الأزرق برج رقم ١ وتسلسلت الأبراج حتى برج رقم ١٠ وهو برج درب المحروق اكبر أبراج السور الأثري.

توصيف الموقع ومشاكله

كان الموقع عند بدء العمل في الحالة الراهنة:

- وجود تلال من القمامة الظاهرة في الجانب الشرقي من السور، تكشف استخدام المساحة المتاخمة للسور كمقلب قمامة، وهو أمر بدأ في العصر المملوكي واستمر في العصر العثماني وتفاقم في القرن ١٩م[٢٣]. واستمر حتى بدء العمل فيه، هذه الظاهرة كانت في حاجة إلى حسم شديد للحد منها، وهو اتجاه بدأنا في الأخذ به سواء إجرائيا من خلال الشرطة أو من خلال تشديد الحراسة على الموقع على اتساعه وعلى قلة الإمكانيات، لكن الإجراءات كانت قد بدأت تؤتي ثمارها رويدا رويداً.
- الحد من امتدادات جبانة باب الوزير في اتجاه الشمال، حيث كان يتم بناء أحواش للدفن بدون تراخيص من المحافظة في اتجاه الشمال، وهو أمر كان سيعوق الكشف عن السور بالكامل، فضلاً عن أعاقته لاستخدام السور كمزار سياحي ثقافي والكشف عنه بصورة كاملة، لقد أصبحت هناك حاجة ماسة لإزالة ما يقرب من ٣٠٠ حوش دفن تعوق الكشف عن امتدادات السور حالياً بصورة كاملة خاصة عند برج ١، ١ أ، ١ ب.
- وجود عشش صفيح وورش لفرز القمامة بين برجى ٢، ٣ وقهوة وكذلك أعمال تجارية غير مشروعة.
- الاعتداء شبه اليومي على السور من الأهالي في الجانب الغربي منه، وهي ظاهرة قديمة بدأت مع تغير وظيفة السور أو تلاشي قيمته الدفاعية، حتى استغل البرج الجنوبي من الباب المحروق منه كفرن لصناعة الخزف في العصر العثماني، وهو ما ظهر لنا خلال موسم حفائر ١٩٩٩/٢٠٠٠م، حيث قام الأهالي بالركوب بالبناء فوق جسم السور أو هدم أجزاء منه بناء امتدادات لمساكنهم فيها، ومن المشكلات الكبرى التي واجهناها أثناء العمل قيام بعض المنازل بمد خطوط الصرف الصحي لمنازلهم داخل جسم السور، وهو ما أحدث تلفيات كبيرة في أحجاره، كان أصعب ما نمر به هو إقناع الأهالي بالتحول نحو الصرف في الشبكة العامة للصرف الصحي، وتارة تحت ضغط استعمال الشرطة وتارة تحت ضغط إصدار قرارات إزالة كان يحول خط الصرف الصحي لمنزله إلى الشبكة العامة. مثل هذه الاعتداءات دأب الأهالي عليها لسنوات طويلة، وهي مذكورة في كراسات لجنة حفظ الآثار العربية[٢٤] على الرغم من تسجيل السور ضمن الآثار منذ سنة ١٩٨٠م[٢٥] والجهود التي بذلتها اللجنة على السور من اعتداءات الأهالي المستمرة[٢٦] زادت هذه المحاولات خلال الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٩٦م، لذا لم يعد معها من المجدي التعامل بصورة تقليدية.[٢٧]

لذا كان التعامل مع السور وفق ما يلي:

-محاصرة المنطقة من باب الوزير وحتى مستشفى الحسين لمنع إلقاء المزيد من المخلفات بالواقع.

-إزالة التعديات الظاهرة للعيان من عشش وأكشاك سواء على طول السور أو في حرمه.

-وقف الحد من التوسع العشوائي لجبانة باب الوزير.

-التواجد اليومي بكثافة على طول السور لمنع البناء عليه أو في الأجزاء الباقية في حرمه.

أتضح من التعامل مع السور ما يلي:

- وجود محاولات من لجنة حفظ الآثار للحفاظ على السور خاصة في الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٥٦م، وهي الفترة التي تم الكشف فيها عن وجود الباب المحروق، فضلا عن ترميم برج ٤ وبرج ٣ من السور والمسافة بينهما، مع نزع العديد من ملكيات الأراضي في الجانب الغربي من السور للحفاظ عليه وترميمه، كالقطعة رقم ١ عطفة المركز والمنطقة الواقعة خلف الباب المحروق مع غيرها من القطع التي كانت مجهولة لدى المجلس الأعلى للآثار عند بدء ترميم وإنقاذ السور الشرقي، وهو ما استدعى طلب تشكيل لجنة للبحث عن ملكيات المجلس على امتداد السور.
- الحاجة الماسة لفتح طريق من باب الوزير برفع المخلفات المتراكمة التي تعوق التعامل مع السور بصورة مباشرة.
- وضع خطة الكشف عن كافة أجزاء السور المطمورة بكاملها أو الظاهر منها ارتفاعات محدودة لا تتجاوز في أفضل الأحوال ٢.٥ م.

الكشف عن السور

مرت عملية إعادة الكشف عن السور بعدة مراحل كما يلي:

أولا : حصر الخرائط القديمة الخاصة بالقاهرة والموضح عليها السور الأثري ، وقد أفادت هذه الخرائط خاصة خريطة بيرى رئيس قبطان البحرية العثمانية في مصر والتي تعود للقرن ١٠هـ /١٦م ، وخريطة الحملة الفرنسية على مصر ، والعديد من الخرائط المحفوظة في مكتبات أوربية ، مثل خريطة هارتمان شيدل التي تعود لسنة ١٤٩٢م وهى محفوظة في مكتبة بيركلى ، وخريطة ماتيو باجينو التي تعود لسنة ١٥٤٩م وهى محفوظة أيضا في بيركلى ، وخريطة هنرى بافون التي تعود لسنة ١٦١٥م ، إضافة لخريطة جران بك للقاهرة التي ترجع لسنة ١٨٧٤م. هذه الخرائط ساعدت على توقع امتداد السور بعد برج عشرة برج درب المحروق بصورة علمية سليمة ، وهو ما ساعد على الكشف عن هذا الامتداد ، فضلاً عن وضع تصور لامتداد السور إلى قلعة صلاح الدين ، وهو ما سنعرضه لاحقا.

ثانيا : حصر كل ما كتب عن السور سواء في كتابات المؤرخين أو الرحالة أو ما ورد من أخبار تتعلق بمناطق باب الوزير أو الدرب الأحمر أو الباطنية في المصادر التاريخية ، مع حصر ما كتب حديثاً عن السور سواء في كراسات لجنة الآثار ، أو ما كتبه كريزويل ، وأخيرا الدكتور أسامة عبد النعيم في رسالته للماجستير في جامعة القاهرة ، والتي اعتمد فيها على وصف الأجزاء الظاهرة للعيان منه ، وهو أفضل ما كان يمكن القيام به حينئذ.

ثالثا : حصر الصور التي التقطت للسور في مراحل مختلفة أو رسومات الرحالة الأجانب وأشهرها لوحة لديفيد روبرت تظهر التلال والسور وخلفهما مدرسة السلطان حسن وهى تعود لسنة ١٨٣٠م. فضلا عن صور لجنة حفظ الآثار والتي يعود معظمها لأربعينات القرن العشرين ، وقد أفادتنا كثيراً في عملنا.

رابعا: تكوين بعثة للحفر الأثري توليت تنفيذ مهامها بوصفي المفتش المسئول عن السور ، وتكونت البعثة من عدد من الأثريين منهم الأساتذة/ محمد لطفي اثري إسلامي وناصر عطا الله اثري إسلامي وأيمن منصور اثري متخصص في الآثار المصرية و٢ أخصائي ترميم ، فضلاً عن مساح ومهندسي معماري وفني حفائر ، حرصت على أن تكون هذه البعثة متنوعة ومتكاملة التخصصات.(٢٨) وقد مول المجلس الأعلى للآثار عمل هذه البعثة حتى اشتراك مؤسسة اغاخان في تمويل العمالة وتوفير المعدات منذ العام ١٩٩٩م.

بداية العمل

تلازم العمل في خطين متوازيين حينئذ:

- الأول: محاولة لشق طريق من جبانة باب الوزير إلى داخل السور برفع المخلفات المتراكمة والتي تعود لفترات حديثة بواسطة بلدوزر وسيارات المجلس الأعلى للآثار.
- الثاني: الكشف عن السور في المنطقة من برج ١ : ٣ في الموسم الأول ثم تتابع الكشف عن السور والأبراج وحجرات الرماية حتى برج ١٠ ثم الكشف عن السور بامتداد برجي ١١ ، ١٢.
- الثالث: أجراء مجسات حفائر في المسافة الممتدة إلى الجنوب حتى باب الودائع للتأكد من امتداد السور ، كلما أتيح ذلك على المسار المتوقع للسور عند تجديد أي حوش أو مدفن في النقاط المتوقع مرور السور بها.

نوعية الحفريات

يعد مشروع الحفر الأثري للكشف عن سور صلاح الدين الشرقي خليط بين نوعين من الحفريات متعارف عليها.

- الأول: هو حفريات الإنقاذ هذه النوعية من الحفريات تهدف إلى إنقاذ موقع ما من عمليات الزحف العمراني أو الاعتداء على التلة الأثرية ، ومثل هذا النوع يتطلب أجراء مجسات سريعة والحفر على شكل خنادق لجمع معلومات دقيقة عن الموقع لإنقاذه في أسرع وقت ، وقد استخدم هذا الأسلوب في التعامل مع السور سواء مع امتداده الشمالي أو الجنوبي ، وقد أثبتت هذه الطريقة حتى الآن نجحها في إنقاذ أجزاء كبيرة من السور.
- الثاني: يعرف بإعادة حفر الموقع ، وقد بدأ هذا النوع من الحفر في الظهور مع تنظيم التنقيب عن الآثار بصورة مقننة وعلمية ، حيث يعالج عمليات الحفر العشوائي التي يقوم بها الهواة أو جامعي الآثار أو اللذين يدمرون مناطق أثرية مطمورة لصالح شخص لبناء منزل فوق الموقع ، لذلك فان إجراء حفريات دقيقة وشاملة ، وربما تكون نتائج تلك الأجزاء المتبقية التي لم تمس ولم يسبق حفرها أهم من تلك النتائج التي سبق حفرها ، مثل باب المحروق الذي كشف تفاصيله كاملة لأول مرة ، وأتضح برجه الجنوبي استخدم فرنا لإعداد الخزف في العصر العثماني ، حيث عثر فيه على أواني خزفية عثمانية ، ومثل التفاصيل الكاملة لبرج درب المحروق برج ١٠ ، وامتدادات الممدات في أبراج السور التي أتضح أن بعضها الحق به حجرات رماية ، وكذلك الكشف عن حجرات رماية لم ترد في أي مرجع علمي اثرى تناول السور وبقايا بالوصف ، فضلا عن الكشف عن قطع خزفية مملوكية تحمل توقيعات صناع ، وفخار مطلى بالمينا عليه أما كتابات بالخط الثلث أو رنوك ، وقطع خزفية عثمانية ، ولسوء الحظ لم يتم العثور على قطع كاملة أو قطع يمكن من خلال عملية الترميم إعادة تشكيلها في صورتها الأصلية ، وكان من المقرر أن نقوم بإعداد كتالوج لهذه القطع الدراسية غير أن تركي العمل بالموقع منذ سبتمبر ٢٠٠١ حال دون ذلك.

تخطيط الحفريات

تم استخدام نظام الخنادق الشريطية في إجراء عمليات الحفر الأثري في الموقع ، وفيها خطط السور بطول ١٢٠٠ متر على شكل سلسلة من الأشرطة العريضة المتوازية تمتد بطول الموقع ، ثم بدأنا في حفر خنادق في هذه الأشرطة بالتبادل ، أي بحفر الخنادق بصورة متتالية بالطول حيث ينقل الرديم إلى الخندق المفترض إلى جواره ، تحتاج هذه الطريقة إلى عمالة كثيفة ، وهى مفضلة في الحفريات التي تتم داخل المدن وفى مناطق ضيقة ، كان الحفر يتم أولا لتحديد البرج إذا كان ظاهرا ثم امتداد السور شماله وجنوبه ثم تنظيف سطح الممر العلوي للسور والشرافات ثم الدخول إلى داخل البرج وتنظيفه والكشف عن امتداداته ثم حفر الجزء الأمامي ، وهو هنا الجانب الشرقي من السور بعرض يتراوح بين متر ومتر ونصف وعمق لا يتجاوز متر ، إذا كان الرديم في المراحل الأولى من العمل يعوق الكشف عن مساحات أكبر.

لقد كانت أكبر صعوبة في الموقع هو رفع المخلفات منه ، وإزالة جزء من التلال الشاهقة الارتفاع والتي تجاوزت في بعض الأحيان في بعض

النقاط ٣٠ مترا فوق المستوى العلوي للسور ، غير أن مساهمة برنامج المدن التاريخية التابع لمؤسسة أغاخان منذ ابريل ١٩٩٨ في رفع المخلفات من الموق ، وفى إزالة ارتفاعات التلال التي تعوق الكشف عن السور ، ساعد على إنجاز عمليات الإنقاذ والحفر بصورة جيدة ، كما أغرى كشف السور برنامج المدن التاريخية على اعتباره ظهيرا لمشروعها الخاص بإنشاء حديقة على تلال باب الوزير المجاورة للسور ، وهو أدى إلى مساهمة البرنامج بعد ذلك خاصةً بدءا من العام ٢٠٠٠م في الكشف عن السور ثم ترميمه.

امتداد السور إلى قلعة صلاح الدين

كشف المجسات الأولية فيما بعد البرج ١ أ عن وجود بقايا برج أخر يقع تحت منزل يبعد عنه مسافة حوالي ١٠٠م أسفل منزل بنى عليه مباشرة دون أساسا ، ويستمر السور مسافة إلى برج دائري يقع في مقابل مجموعة ايتمش البجاسي ، هذا البرج له بقايا ظاهرة للعيان تم الكشف عن عمق له يصل إلى ١.٥٠م أسفل مستوى الشارع يتجه السور منه إلى الشرق بدلاً من الجنوب طبقا لأعمال الكشف الأثري عنه ، هذا البرج إذا برج زاوية يشبه في وظيفة برج درب المحروق وبرج الظفر الذي يقع عند التقاء السور الشرقي مع السور الشمالي للقاهرة ، وقد حال الكشف عنه كاملاً وجود منزل صغير بني فوقه دون أساسات ، كنا قد بدأنا في إجراءات إزالته ، وقد تبين وجود امتداد للسور في اتجاه الشرق من هذا البرج بطول ٤ متر ، من هنا يتضح لنا أن مجموعة ايتمش البجاسى بنيت داخل المدينة ، بينما بني رباط ازدمر خارجها ، كما يلاحظ أنه على مسافة من السور يوجد مدخل من بقايا منشأة مملوكية جركسية على منسوب مرتفع نسبيا عن منسوب السور وفى نفس اتجاهه ، وهو ما يعنى تراكم المخلفات في الشارع منذ العصر الأيوبي للعصر المملوكي الجركسى أو أن لهذه المنشاة من الشارع سلم صاعد ، غير أن اعتراض هذا المدخل لمسار السور مازال في حاجة للإجابة عنه باستكمال أعمال الحفر في هذا الاتجاه ، هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فهي استدارة البرج نحو داخل المدينة على عكس باقي الأبراج التي أما تبرز إلى خارج المدينة ، أو تفتح بعقد على المدينة ، هذه الاستدارة تستدعى من الذاكرة برج القلة في القلعة ، الذي يُعرف ببرج المقطم حالياً ، وهو برج دائري يقع على سور القلعة بين نطاقيها الجنوبي والشمالي ، وكان يستخدمه والى القلعة لمراقبة أقسامها وضبط الحركة بها ، فهل كان هذا البرج يؤدى نفس الوظيفة ؟ لاشك أن كشف المزيد منه يؤدى إلى الإجابة عن التساؤل ، وربما تتأكد الفرضية السابق طرحها بناءاً على ما تم الكشف عنه من السور ، أن المعطيات تؤكد استمرار السور إلى الخوخة الباقية حالياً والمؤدية إلى جبانة باب الوزير ، ومن المرجح أنها هي نفسها باب الوزير الذي ينسبه محمد رمزي إلى الوزير نجم الدين بن شروين المعروف بوزير بغداد ، عند توليه الوزارة في عصر السلطان الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢هـ/ ٤١ - ١٣٤٢م لمرور الناس فيه بين المدينة وبين الجبانة الواقعة خارج السور. هنا يثار تساؤل حول تضاؤل أهمية السور حتى فتح باب أو خوخة مستحدثة به ، ثم الدفن خارجه ، يبدو أن السور الشرقي ظل محتفظا بأهميته حتى زادت مع إنشاء الظاهر بيبرس ميدان القبق به[٢٩] فقد كان هذا الميدان هو ميدان التدريب الرئيسي في العصر المملوكي والمهرجانات والاحتفالات ، ومن المرجح أن البناية المكتشفة بين البرج ١ والبرج ١ أ ذات القبوات المتتالية أما أن تكون المنصة الوارد وذكرها في المصادر التاريخية أو أحدى منشات الميدان الوظيفية ، وقد تلاشت وظيفة هذا الميدان بعد عصر الناصر ، لتتحول منطقة باب الوزير لجبانات.

كما أننا بأجراء مجسات بعد الباب تأكد لنا بصورة أولية امتداد السور منه في اتجاه الجنوب حتى الشارع الموازى لقلعة الجبل ثم ينحرف شرقا مرة أخرى حيث نعثر على برج أسفل قبة رجب الشيرازى اثر رقم ٤٧٦ ، على برج أثرى شيدت أعلاه القبة ، وبمتابعة عمليات هدم وتنكيس المباني على امتداد قبة رجب الشيرازى تجاه الشرق بخط شبه مستقيم أتضح وجود بقايا للسور أسفل بعض المنازل ، وهو ما يعنى ضمنا أن هذه المنازل اتخذت السور كحجر أساس بنيت فوقه ، ومن الملاحظ امتداد السور إلى باب الوداع بسكة المحجر ، وهو باب أثرى كان يعتقد أنه ليس جزءاً من السور ، غير أن تحليل مواد بناؤه وأحجاره أثبتت أنه جزء من السور الأيوبي ، ويستمر السور مسافة غير محددة بعده ، إذ يحتاج الأمر لمزيد من الدراسات.

ارتفاعات السور الشرقي

دلت أعمال المجسات أن ارتفاع السور من الشرافات إلى الأرض الموازية للسور ٩ أمتار تقريبا ، غير أن العديد من العوائق حالت دون الكشف عن ارتفاع السور بالكامل منها:

- وجود أحواش دفن في المنطقة الممتدة من البرج ١ أ إلى البرج رقم ٢ ، وهو ما يعيق الكشف بالكامل عن السور ، لذا اقترح إزالة عدد ٦٠ حوش لكي يتم ضم رباط ازدمر إلى مشروع تطوير وإنقاذ السور ، فضلاً عن أن هذا الكشف قد يؤدى إلى المزيد من المعلومات عن ميدان القبق الأثري.

- وجود عدد ٢ خزان مياه في المنطقة الموازية لباب المحروق بصورة خاصةً ، يقع هذا الخزان المواجه للباب على بعد ٦٠ مترا من السور ، ويعلو عن السور بحوالي ٢٢ مترا وهو يرتكز من الناحية الإنشائية على التلال الترابية المحيطة به وإلى أعمال حفر غير محسوبة سيؤدى إلى انهياره ، حيث أن قطره ٨٠ مترا ويستوعب ٣٥ ألف متر مكعب من المياه ، ولذا فانه بات من الصعوبة الكشف عن باب المحروق بالكامل ، واقترح الكشف عنه بارتفاع ٣.٥م مع إقامة حائط ساند موازى له.

- استحالة الكشف عن الارتفاعات الكاملة للسور في باقي المناطق ، إلا بعد تخفيض أحمال المباني الملاحقة له والراكبة عليه من الجهة الغربية ، فضلاً عن أن وجود طريق صلاح سالم حد من إمكانية خفض مستوى محدد ، وفى حالة الرغبة في تجاوزه يجب أولا خفض مستوى طريق صلاح سالم ، وتحمل تكاليف مالية باهظة لا طائل من وراءها لذا تم التوصل إلى إمكانية الكشف عن السور في المرحلة الحالية طبقا للارتفاعات المقترحة بالجدول التالي:

البرج	الارتفاع
١	٤.٥ متر
٢	٤.٥ متر
٣	٩ متر
٤	٩ متر
٥	٩ متر
٦	٣.٥ متر
٧	٣.٥ متر

البرج	الارتفاع
٨	٨ متر
٩	٨ متر
١٠	١٢ متر
١١	٨ متر
١٢	٨ متر
١٣	٨ متر
١٤	٨ متر
١٥	٨ متر

في النهاية لا يسعني إلا أن أذكر أنه لولا تضافر جهود ثلاثة مؤسسات لم يكن من الممكن استكمال هذا المشروع ليصبح السور الشرقي ظهيراً أثرياً لحديقة الأزهر، هذه المؤسسات، هي مؤسسة أغاخان التي استكملت في مرحلة لاحقة أعمال الكشف الأثري وترميم السور، ومحافظة القاهرة والمجلس الأعلى للآثار اللذين تضافر التقديم مشروع نوعي مميز.

الهوامش

١ الجبرتي، عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ٤، ص ١٢٥.

٢ البنداري، الفتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، إختصار كتاب سنا البرق الشامي لعماد الدين الكاتب الأصفهاني، ص ١١٩؛ أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر سلاطين المماليك، ص ٢٦. رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٢ م.

3 Suzan jane staffa, conquest and fusion, the social elevation of Cairo, a.d. 642- 1890، p94، leiden1979.

عدنان الحارثي، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين، ص٨٧، زهراء الشرق ١٩٩٩.

٤ المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٠٠، ليدن ١٩٠٩م.

٥ أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين، ج ١ ق ٢، تحقيق محمد حلمي ص ٣٣٤، القاهرة ١٩٦٢؛ عدنان الحارثي، عمران القاهرة، ص ٨٨.

٦ المقريزي، السلوك، ج ١ ق ١، ص ٩٠؛ عدنان الحارثي، عمران القاهرة وخططها، ص٣٨٧.

٧ عرفت القلاع الصغيرة بالأبراج، وهي تعد إستحكام حربي للمراقبة والدفاع الأولي، يتسع لإقامة حامية عسكرية صغيرة لصد هجمات الأعداء، أو على الأقل تعطيلهم حتى تستعد القلاع والحصون القريبة منها. محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ٢١.

٨ يعرف حاليا بجامع الفتح ويقع بميدان رمسيس في القاهرة.

٩ المقريزي، السلوك، ج ص ٣٨٠، الخطط، ج١، ص ٣٧٩، ٤٨٠.

١٠ البنداري، سنا البرق، ص ١١٩، أبوشامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق٢ ص ٦٨٧.

١١ كان يازكوج مملوكاً لأسد الدين شيركوه، وصار أميراً على طائفة الأجناد والأسدية في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢ م؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٩؛ السخاوي، تحفة الأحباب، ص ٧٥؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٣٤؛ أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص ٢٧١؛ عدنان الحارثي، عمران القاهرة، ص ٣٨٨.

١٢ الهروي، علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م) التذكرة الهروية في الحيل الحربية، ص ١٠٩، تحقيق مطيع المرابط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٢م.

١٣ فهمي الأغبري، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، ص ٣٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤م؛ عبدالله الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني، صنعاء ٢٠٠٣م.

١٤ سعد المؤمني، القلاع الإسلامية في الأردن، ص ٣٥٠،٣٥١، دار البشير، عمان، ١٩٨٨م.

١٥ أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

١٦ ابن دقماق الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، ص ٢٧؛ المقريزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٧؛ خالد عزب، الفسطاط، النشأة، الإنحسار، ص ١٤٣، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٨م.

١٧ ابن دقماق، الانتصار، ص ٢٨؛ المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣٤٧؛ خالد عزب، الفسطاط، ص ١٤٤.

١٨ تولي تنفيذ الحفر الأثري عن الباب فريق برئاسة الدكتور خالد عزب الذي عمل كذلك بالاشتراك مع الفريق الفرنسي.

١٩ عبد الرحمن ذكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص ٧٤، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٥، ١٩٦٩ م؛ فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة، ص ١٩١، ٢٧٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ م؛ السيد عبد العزيز سالم، وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، ص ٢٥، مجلة الجيش، عدد ٨٢، ١٩٥٧ م.

٢٠ عبد الرحمن ذكي، العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، ص ١١١، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٧، ١٩٥٨م.

٢١ أسامة طلعت، ملامح تخطيط المدخل المنكسر في العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، ص ٣٢٧: ٣٣٠، بحث ضمن أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة ١٩٩٩م.

٢٢ أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

٢٣ صديق شهاب الدين، تخطيط المدن وتاريخ الحصون، ص ٤٥٤، ومجلة العمارة العدد ٩، ١٩٣٩م.

٢٤ انظر: الكراسة ٢ من سنة ١٩٥٤ إلى ١٩٦١ ص ٣٦،٣٧.

٢٥ انظر: كراسات لجنة حفظ الآثار المجلد ١٨٩٠م ص ٢٠،٢٤.

٢٦ انظر: كراسات لجنة حفظ الآثار المجلد ٢١ ١٩٠٤م ص ٤٠،٤١.

٢٧ انظر: ملفات سور صلاح الدين الشرقي من منطقة اثار جنوب القاهرة.

٢٨ حصلت البعثة على رعاية خاصة من كل من أ/ عبد الله العطار رئيس قطاع الآثار الإسلامية آنذاك، والأستاذ عادل عبد الستار مدير عام مناطق جنوب القاهرة آنذاك، والأستاذ عبد الخالق مختار مدير عام منطقة جنوب القاهرة آنذاك.

٢٩ محمد الششتاوي، ميادين القاهرة في العصر المملوكي، ص ٦١:٧١، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩م.